

## أنماط الزواج في منطقة تلمسان

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

جامعة تلمسان

### الملخص

يختلف الزواج باختلاف المجتمعات في أشكاله، وعادات الاحتفال به بطرق يقرّها المجتمع، و يفرضها على أفرادها، و تتركز هذه الاختلافات على القيم السائدة التي تميز الطابع المحلي لثقافة ما عن الثقافات الأخرى.

وفي تلمسان تتنوع أنماط الزواج منها الداخلي أو ما يسمى بزواج الأقارب و هو أمر مستحب و ميسر للمعرفة بالأصل و تقارب المستويات الاجتماعية و إبقاء على مستويات الأسرة 'و الزواج الخارجي الذي يؤدي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القروية عن طريق توسيع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى مع ما يصاحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح و روابط اقتصادية و اجتماعية كثيرة و متنوعة.

### الكلمات المفتاحية:

الاختيار الزوجي 'الأسرة' التعليم 'زواج الأقارب' الزواج الاغتصاب.

### مقدمة

يتم الزواج في منطقة تلمسان على حسب خطوات معينة هي: الخطبة ثم عقد القران ثم الزفاف. و تتدخل العادات الشعبية في كل مرحلة من هذه المراحل. و المرحلة الأولى التي تكون كخطوة مبدئية لاقتحام هذا المشروع هي: الخطبة. و هي المرحلة التمهيدية التي تملئها جملة من الأفكار و الشروط، لاختيار زوجة المستقبل (الكنه) (1) و التي يفرضها المجتمع بصفة عامة والأولياء بصفة خاصة.

#### 1. الاختيار لزوجي:

تبدأ الخطبة بمرحلة هامشية تمهيدية تظهر بداية في الاختيار الزوجي و تقوم فكرة الاختيار الزوجي على سؤالين. من الذي يختار؟ و من الذي يقع عليه الاختيار؟

#### أ- الاختيار الأسري

جرت العادة أن يتجنب الحديث مع الأبناء، فيما يتعلق بأمور الزواج عند العائلات المحافظة، فالاختيار يكون من اختصاص الأولياء، و ما على الأبناء و البنات إلا الطاعة وذلك خشية من النتيجة السيئة التي ستلحق بهم، إذا لم يأخذوا برأي و رضا الوالدين.

نستشف من هذا أن الابن قاصر في نظر الأولياء، و لا يعرف مصلحته (أي نجاح زواجه) إلا بواسطتهم. كما تتجلى هنا مرتبة الأولياء، و مكانتهم في العائلة و تزعمهم أغلبية السلطات، و الضرر الذي سيلحق بالأبناء إذا لم ينفذوا الأمر. فالزواج مهمة عائلية و ليست فردية، يعني هذا أن الفرد يوجد داخل مجموعة محددة، و من ثم فهو مطالب بالمحافظة على عاداتها، وتقاليدها.

#### ب- الاختيار الشخصي

و يلاحظ وجود نمط آخر من أنواع الاختيار عند الإقدام على الزواج ألا وهو الاختيار الفردي الحر

2 وهو «أن ينتقي الشخص شريكه بمقاييسه، و رغباته، و إرادته.» 3

فقد يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك و المبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التوازن في حياتهم الزوجية المقبلة. 4

و لاشك أن الاستقلال الاقتصادي عن مهنة الزراعة و امتهان مهن أخرى كقيادة السيارات أو التجارة أو السعي للعمل في البلاد العربية كلها أمور تتيح للفتى قدر من الحرية في الاختيار 5

فالتغير إذا كان نتيجة لظروف اقتصادية و اجتماعية حيث أتاح نظام العمل الحالي للأبناء إمكانية الاستقلال المادي عن آبائهم و بالتالي أتاح لهم فرصا للاختيار دون الرجوع بصورة إجبارية إلى والديهم

و يعني هذا كله أن عملية الزواج تواجه في المجتمع الجزائري بعاملين متعارضين: 6

**-عامل قيد،** بحيث لا تنجح عملية الزواج إلا برضا الأولياء، و من ثم خضوع المقبل (المقبل) على الزواج للأولياء.

**-عامل حب،** بحيث لا تنجح عملية الزواج إلا بتراضي الطرفين و تبادل الحب بينهما.

و يلاحظ أنه حاليا يغلب اختيار الفرد لشريكة حياته بنفسه على الاختيار الأسري (الأولياء) وظهور هذا النمط من الاختيار لا يلغي النمط الأول وهو النمط العائلي، بل إنه يظل سائدا في كثير من البيئات خاصة في المجتمعات الريفية.

وحتى إذا كان الفرد يختار بنفسه شريك حياته لا يمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية والثقافية لأن « الزواج نظام يحقق أهدافا اجتماعية وثقافية واقتصادية بجانب الأهداف الخاصة أو الشخصية» 7

لا بد إذا أن تكون هناك مشورة بين الأولياء و الأبناء في مثل هذه الأمور لأنهم يمثلون الخبرة و التجربة.

وقد يرجع الإقدام بكثرة على الاختيار الشخصي أثناء الزواج إلى: تطوّر المجتمع بما فيه من التفتّح عند العائلة على المجتمعات الأخرى وتحولها من ممتدة إلى نووية (مستقلة). ممّا أدى إلى تحرّر الابن من سيطرة أبيه، ليتولّى هذه المهمة بنفسه، وخروج الفتاة إلى العمل والدراسة أتيح لها الفرصة للاختلاط و التعارف، زيادة على ذلك يبقى التمسك بالدين الإسلامي الذي ينص على أخذ الرأي وتراضي الطرفين لإتمام مشروع الزواج. وكأن الرجوع إلى الأهل ما هو إلا مباركة للمجتمع على هذا الاختيار.

و بناء على هذا يمكن القول إن سلطة الأسرة في المجتمع الجزائري عامة والتلمساني خاصة قد ضعفت في مجال اختيار العروس، إذ أصبح الاختيار الفردي يحل محل النمط الأول (الاختيار العائلي) مساندا مشورة الأولياء إضافة إلى أن الابن يحتاج المساعدة المادية التي تقدمها له أسرته قبل و أثناء الزفاف.

## 2. -أنواع الزواج:

إضافة إلى نوع اختيار الزوج، فالزواج في منطقة تلمسان يكون داخليا كما يكون خارجيا.

### أ- الزواج الداخلي الافتراضي (الزواج بالأقارب):

وهو أحسن فرص الزواج و أكثر استمرارية عند الكثير من العائلات التلمسانية و العربية عامة، و بالأخص الزواج من «بنت العم» أو «بنت الخال».

ولعل من أسباب هذا النجاح، هو أن هذا النوع من الزواج يكون مأمون السلوك، فضلا عن أنه لا يكلف الراغب في الزواج البحث عن نسب الفتاة وحسبها، كما قد يكون الإقدام على هذا الزواج بدافع الحفاظ على الملكية أي تأكيد بقاء الإرث داخل مجموعة القرابة.<sup>8</sup>

و مما تجب الإشارة إليه أيضا أن الزواج يحمي بنات القرابة من أن تصبح عوانس « لأن الفتاة إذا تقدّم بها السنّ، فقد تفكر في طرق أخرى غير شرعية.»<sup>9</sup> مما لا يجلب العار لأسرتها فحسب بل للعائلة الكبرى كلها.

وعليه فإنّ – من باب الاحتياط لما قد يحدث من خلل في هيكل الشرف العائلي – يصبح الزواج من الفتاة القريبة ليس مستحبا فحسب بل واجبا.<sup>10</sup>

كما قد يكون هذا الزواج رغبة في التماسك العائلي، والاعتداد بالعصبية الأسرية<sup>11</sup> و العصبية تكون من خلال الالتحام بالنسب أو في ما معناه. فكثيرا ما ترى بعض العائلات نفسها أرقى من غيرها، مما يجعلها تخشى اختلاط التقاليد، و العادات عند الزواج من خلال العائلة، مما يعني عدم وجود مكانة للغريب بينها، وهذا ما يشجعها على التشبّث بالزواج الداخلي<sup>12</sup> وهذا النوع من الزواج لا يوجد في الرّيف فقط كما هو الحال – مثلا – في مصر، وإنّما هو يوجد في المدينة أيضا، و ممّا يؤكد هذا في تلمسان كون هذه الظاهرة تعد عادة ثابتة-إلى حد ما- بحيث لا يتزوج الرجل التلمساني بغير قريبتة إلا نادرا<sup>13</sup>

هذا ما ينطبق على اختيار شريكة الحياة، أمّا فيما يتعلّق بشريك الحياة، فإن العائلة تفضل أن يكون الخطيب من داخلها أيضا، و إذ كانت ظاهرة اختيار العريس في هذه المنطقة تبقى عملية ضمنية أو مستثيرة، ممّا يعني أن عصمة الخطوبة تبقى في يد الرجل، و هذا ما يجعل العائلة تحاول أن تبحث –بطريقة غير مباشرة- داخل العائلة الكبرى عن خطيب يناسب طموح بنتهم.

و يشخص هذه الظاهرة أمثال كثيرة منها

"زيتنا فديقنا"

"يمضغك و ما يصرطكش"

"اللحم إلا خنز يرفده أُمليه"

و نستنتج من مضامين أمثال الداعين إلى الزواج الداخلي التعصب القبلي<sup>14</sup> وهذا من مخلفات الاعتقادات السائدة في هذه المنطقة. إضافة إلى الأسباب الأخرى التي ذكرناها كالحفاظ على الإرث ومشكل العنوسة وحفظ الشرف.

نصل من هذا كله إلى نتيجة مؤدّاها أن الزواج الداخلي في هذه المنطقة يخضع لقاعدة مفادها أن عملية الزواج تبقى محصورة داخل مجموعة واحدة، و أن أي خروج عن هذه المجموعة لا يشكل – في حقيقة الأمر- خرقا للمجموعة الأم، بقدر ما هو يمثل حيزا تربطه علاقة ما بالمجموعة الأم<sup>15</sup> ويعني هذا أيضا أن ما يظهر – في بعض الأحيان – من تمرد على هذه العادة داخل العائلة المغلقة فهو مجرد محاولة انفصال إذ يبقى مآلها الفشل كون العائلة ستعارض هذا التمرد بمقاطعة العريس، مما يؤدي بها غالبا إلى الافتراق و من ثم الطلاق.

## ب- الزّواج الخارجى:

لقد كان أهل تلمسان لا يتزوجون من المرأة الغريبة (البرانية) إلا في حالات نادرة. وكثيرا ما كان يلقى هذا النوع من الزّواج معارضة شديدة من قبل العائلة.

و بالرغم من عدم ترحيب أهل تلمسان بهذا النوع من الزّواج إلا أنهم بدأوا يسمحون به، انطلاقا من الأمثال الشعبية التالية

"وين دمك وين همك"

"الأقارب كالعقارب"

"تزوج المرا البعيدة و احرق الأرض القريبة"

فكثيرا ما يحدث انقطاع صلة الرحم بين العائلتين المتصاهرتين نتيجة لحدوث صراع أو نزاع أو انفصال بين الزوجين مما يجعل الأهالي يتخلون على هذا النمط من الزواج إضافة إلى أسباب أخرى كضعف العصبية القبلية، و انتشار التعليم الذي كان له دور كبير في تغيير الأفكار، و المفاهيم وتقلص السلطة العائلية ممّا أتاحت للفرد الاختيار الشخصي الحر.

و إذا كان الزّواج الداخلي هو، الذّي « يحافظ... على تماسك الوحدة القرابية أيا كانت (أسرة، عضاء، بطنا، عشيرة...)، و تدعيمها من طرف المصاهرة بذوي القربى مع ما في هذه المصاهرة من حفاظ على ثروة الوحدة القرابية من أن تبدد بانتقالها من النسب إلى وحدات في حالة الزواج الخارجى. فإنّه يؤدّي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى جديدة مع ما يصحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح، و روابط اقتصادية واجتماعية كثيرة و متنوّعة. 16

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ البحوث العلمية تؤكد أنّ كثيرا ما ينتج عن الزواج من القرية (الزواج الداخلي) عاهات وأمراض وراثية. 17

وهذا ما جعل الناس-و خصوصا فئة المتعلمين-يتخلون عن هذا النوع من الزواج فالتعليم إذا يلعب دورا هاما في التغيير الاجتماعى فهو أداة للتغيير المناسب عبر الأجيال للأفراد و الجماعات .

## الإحالات و الهوامش

1/ **الكنه**: امرأة الابن و امرأة الأخ، أراد امرأته فسمها كتنها لأنه آخوها في الإسلام، و منه حديث ابن العاص: فجاء يتعاهد كنته أي امرأة ابنه. ( ابن منظور – لسان العرب- دار صادر بيروت – المجلد الثالث عشر- الطبعة الأولى 1955 -ص362.

2علاء الدين كفاي – الإرشاد و العلاج النفسي الأسري – المنظور النفسي الاتصالي – ط1 – دار الفكر العربي – القاهرة 1999 – ص22.

3مسعودة كمال- مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري – ديوان المطبوعات الجامعية – 1986-ص 96.  
4المرجع نفسه ص90

5مرفت العشماوي عثمان العشماوي دورة الحياة دراسة للعادات و التقاليد دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع 2011 ص 179

6مصطفى بوتفشونت – العائلة الجزائرية – التطور الخصائص الحديثة – ترجمة أحمد دمري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1984 – ص 37-56.  
7علاء الدين كفاي – المرجع السابق – ص 422.

8محمد رياض – الإنسان دراسة في النوع و الحضارة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – ص 492.

9فوزية دياب – القيم و العادات الاجتماعية – دار النهضة للطباعة و النشر – بيروت – 1980 – ص 151.

10للتوسع أنظر: محمد بشير بحث في أبعاد الثقافة العمالية لدى عمال المؤسسة الوطنية للنسيج – رسالة لنيل شهادة الماجستير – مكتبة معهد الثقافة الشعبية – جامعة تلمسان 1991-1992-ص64-74

11فوزية دياب – المرجع السابق – ص 151.

12فوزية دياب – المرجع السابق – ص 151.

13للتوسع أنظر:-ALGER-OPU-1987-CHAULET (cl) : la terre, les frères et l'argent – P205.

14للتوسع أنظر: احمد عاطف غيث – دراسات في علم الاجتماع القروي -دار النهضة للطباعة و النشر بيروت – ص 128.

15للتوسع أنظر:

ALI KOUAOUCCI – Familles, femmes et contraception contribution à une étude sociologique de la famille Algérienne – ALGER –CENEAP – PNUAP -1992 – P112 -113

16صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي – تقديم أحمد محمد خليفة – دار النهضة العربية القاهرة – 1974-ص60.

17للتوسع أنظر-Domart(A)-EncyclopedieMedicaleImp –Herisseyet-Jombart –Paris-1981- p260